الرباعية الثالثة

أنا الكوكب الاسود ، انتشروا في المقاهي اشربوا الشاي ، وحدي أقهقه في وجه تمثالي الحجري ، الصبايا النحيفات يرقبن آخر تسريحه في مجلاتهن ، المعرّي من فندف مثقل بالثريات يرسل برقية : ليلتي هذه وجه قوادة .. أيها الكركدن المرايا لها رقة الحجر ، الوحشة القمرية في القاعة ، المسرح الآن غرفة نوم ، انا المسرحية والمخرج ، القادمون ، الخطى الشبحية ، من ذا ؟ نفرتيتي في آخر الليل تنجاب عنها القرون الغبار .. انزعي عنك هذا النقاب الهلالي ، هل تسمحين ؟ المساحيق في هذه العلبة ، الكركدن عزوف عن الشاحبات ، اصبغي جيدا ، ما لنا كلنا واجم يا حرير ؟ امتلكت الصدى والمدى آه في أيما ذرة من رمال الصحارى البداية ؟ مرّت على جمل طائر ، وجهها قال عنه النواسي شيئا ، ولكنها في القطار السهوبي كانت بسروالها الضيق امرأة من لهيب الصنوبر والثلج ، نامت الى الصبح بين ذراعيّ ، من كوّر الارض تحت يدي شرّة ؟ قام بيني وبين البياض الخريفي حائط طين ، أقمنا مخيمنا وانحدرنا الى الغاب بحثا عن الصيد .. والنار في آخر الليل تخبو ، الخيول التي روضت ذكرتنا بفخذين ما روّضا ، ما اسمها ؟ لونها ؟ قيل : آسيا البراري .. الصواري انحنت مثقلات ، أقل اشتياقا فما زار غرفتك الحجرية غير الخفافيش ، يطفو على الحائط الرطب وجهك ، والضوء في مطعم مثقل بالثريات غيم وراء ستائره القصبية ، في البار حطت بنا مركبات الفضاء ، اللقالق في الشمس والصبية الجائعون وراء التلال يلمون زرقة فخارها ، القارب الذهبي الدفين يغادر في الليل صندوقه الضخم يطفو عليها ، وفخارها زرقة قدستها النساء ، احتطبنا الجريد ، انتظرنا مع الريح والثلج والزهر اللهبي انتظرنا ، نفرتيتي في آخر الليل تأوي الى غرفتي الرطبة الحجرية في ثوبها الغسقي ، انحنت واحتوتني ، هممت بتقبيلها ، قهقهت وهي تختضّ ، أبصرت أسنانها الصفر تسقط : (خذني الى صدرك الرحب ، في الصبح يطفو على وجهي الملكي الصبا الابدي ، احتضني ..) وفي لمعة البرق أبصرت أثوابها الغسقية تنحل عن مومياء .

وقرّبتني امرأة العزيز ، والدمقس يشوي راحتيّ اندففت افخاذها المليئة . البغي في التاكسي ، انتشرنا كالصدى في هذاه الشوارع الشتويه ، الساعات دقت دقه فدقة في البرج ، (هل تسمح أن تعيرني لفافة ؟) واقتربت في خفر أشعث تعطي فمها الادرد : (اسمع ، ربما تعوزنا زجاجة اخرى .. وفي الشقة اختي ، انها أكبر مني انما ليس كثيرا ، اعطني لفافة ، منذ أسابيع تركت السجن ...) في الشوارع الشتوية الليل سرير ابيض ، النخيل في ظهيرة القش افتحي يا امرأة اليقطين فخذيك ، بكت طفولة الرعد الجنوبي ، ارتمى البرق على اقدامه زرقة فخار وحندقوقة ، يحتطب الجريد يلتفّ على الجذوع ، في رائحة الروث الشتاء الرطب في الخبز الذي يشوى على الروث ، وفي البار يدور الكوب بي مركبة ، اترك خيطا دائريا دمويا فوق فخذ الزمن الهاجع في كهوفه غزالة قطبية ، يدور بي كوكبنا الارضي خصر امرأة تفلت من ذاكرتي : منتصف الليل ، انتظرت ، الساحة الرحبة تخلو ، ليس غير الريح والتمثال ، ضوء غائم يشحب في المقهى الزجاجي ، أتت لاهثة : (خرجت توا دون ان اودّع البنات ، هل تنتظر الباص ؟ اظن الباص لن يأتي قريبا ، لم يعد يعجبني الكونياك ، كم اتعبني الوقوف خلف البار .. قد تركتم المقهى مبكرين هذا اليوم ..) في غرفتها تبعثرت ملابس النوم على السرير والاريكة ، النبيذ في اكوابه ، معلبات الامس في مكانها ، وصورة الزفاف في اطارها الفضي عند رأسها ، وفي الصباح عندما نهضت كانت قد مضت لاهثة تعاود الوقوف خلف البار وجها ملكيا .. أيها الرعد الجنوبي ـ الفجر ، لقد أضعت الدور في أوج امتداد الصمت ، في توتر الخيط الذي يمتد بين القاعة الرحبة والممثل الهائج ملء دوره : هل أنا دون كيخوت أم هملت ؟ في توحدي أضفر من حثالة القش أكاليل ، الصدى الراكد في الحوائط الرطبة من أقلقه ؟ الدفّ الجنوبي وراء النخل او نواح رأس السنة الجنائزي في كهوف الرقص ؟ عدنا فوقنا أشرطة الحفل ، انتزعنا الالق الذاهل والاقنعة ، احتضنتها مرتعدا برغبتي ، تسربت اليّ من عروقها برودة آتية من مدن مطمورة ، في الابد الصخري تلتف على أعمدة الهياكل الريح ، تلوح امرأة واقفة تضيئها البروق وجها ملكيا ، عندما انفلتّ منها اقتربت ضاحكة تلفني بساعديها الحجريين : (التقينا مرة في هذاة الهياكل

الرحبة . في وجهك أبصرت انتظارا أبديا فانا آتيه اليك . خذني امرأة أطعمها اليك من تمثالها الصخري عشق قدري ..) أيها الرعد الجنوبي انفجر .. وحدي يضيء البرق وجهي وانا اطلق في الحفل الجنائزي قهقهاتي ، انحدرت في السيل الذي يجرف في اندفاعه الديكور والاقنعة . المهرجون عادة ينصرفون قبل ان يتسلل المسرح بالرقص المغولي ، تمارا امراة في البرج ،

على البحر تلقي بزائرها في الفراره في كل فجر ، لقد كنت اخر اسرى القبائل . طوقتها دون ان ادخل الكهف . لما تزل تاخذ الزينة الملكية . لما ازل واقفا قرب اقحوانها . البار ملآن كالعادة . الضوء في اوجه . هل لراقصه البار هل ترتضي الغروي عشيقا لخمس دقائق ؟ يطفو على الحائط الرطب جوربه الرث رايه عصر يعلق في واجهات مخازنه الحجر العمري ، انتظرنا على السلم امراة قبلنا اصطحبوها الى الشقة ، النار في الغابة ، السرو يحنو على مرمر امراة في الضواحي ، المحطة ملتقه بالصنوبر ، في آخر الليل تاوي الى عشي الحجري الكلاب الهزيله ، ياوي ابن اوى الهزيل . الفنادق اقفلت الآن ابوابها ، الخدم الامراء المهازيل في نومهم يرقصون ، اخترقنا بغبرتنا جاذبية اطمارنا وانحدرنا الى مطعم مثقل بالتريات ، طعم النبيذ الفرنسي في شعرها ، ايها اللفلق : الروث والكرب الرطب في النار ، تاتي الصبايا النحيفات : (في السيسبان القديم ابتنينا منازلنا الحجرية ، عبر السهوب انتشرنا نلم لنيراننا الروث ، يطفو بجنية الهور قاربها الذهبي ، احملينا الى قصرك الذهبي احملينا ولو مرة ، قيل : آباؤنا في مدائنك الخضر اسرى يكبلهم شعرك الذهبي ، احتطبنا حثالة يقطينة فوق اكواخنا وانحدرنا الى النهر ، تطفو على الماء نيراننا ، ايها النهر الفسقي احتضن هذه النار ، في نومنا يحتوينا سرير من السمك الاخضر الذهبي ، انحدر فوقنا ايها الغرب الشجني ، الجروف القديمة تحنو على بطها الابيض ..) الشقر في فروهن يرابطن عند الفنادق يرقبن ابوابها الدائرية ، ترنو تمارا الى وجهها في مرايا المفاسل ، في ثوب خادمة في المطاعم تاتي الى السائح القروي بشمبانيا ، كنت آخر أسرى القبائل في البرج .. اوقفتها عند باب المحطة ، يطفو على وجهها اللهب الغسقي ، انحدرنا مع السلم الهابط ، النخل يأوي الى غرفتي الآن ينشر اكفانه القمرية ، يأتي الينا عويل القطارات في باطن الارض ، بهو المحطة يخلو ومنتصف الليل يلتف كوم غبار يزاح بمكنسة ، في الضواحي انحدرنا الى كوخها الخشبي المؤجر ، طوقتها ، قهقهت وهي تلقي بتسريحة الشعر الاصطناعي فوق الاريكة ، في آخر الليل ابصرتها في مرايا المفاسل تنزع اسنانها الاصطناعية ، النخل يهجر غرفتي الآن يترك اكفانه القمريه قمصان نوم على مومياء .

وفي انشتاء البار والطين واحزان الكلاب ، السهر الرخيص في المقهى الى منتصف الليل على التاطىء في الصيف ، لمن تؤجر التاحبه النفيله الخطوه عريها ؟ انتظرت باصي الاخير في الساحه ، طالت وقفتي . ايتها الاعمده الان يطيب رقصنا انا وانت والريح الترابية ، في اسرّة الفنادق الرطبه يلتف باطمار انتظارات الجواري الجامعيات ، انحدرنا عصبة من السكارى الوقحين ، اصطففت في وجه قهقهاتنا الابواب في حتالة الميدان ، في مقهى البرازيلية القهوة في الفنجان طعم امراة تملت من ذاكرتي . المطار في الفجر ، الزجاج الرطب ، في قرانها تعالب النعاس في الصاله والقهوه في الفنجان ، قرب البحر في الصيف الجنوبي لها لون الصبايا الاستوائيات ، في الشتاء عند البار تمتص ببطء امراة فارغة البال النبيذ الحلو ، في الباص الى غرفتها تغمض عينيها على كتفي ، ابداي ايتها الاعمده الرقص .. انا وانت والريح الترابية في الساحة ، ياتي الخدم المنوجون ، انصرف السادة والاكاسيا تترك عادة على موائد المطعم او تسقط من ايدي الجواري الجامعيات على سلالم الفندق ، ياتي مخبرو الجرائد المرتعشون في ثياب الحفل من احدى السفارات يعربدون كالمعتاد ، ياتي راقصا في نومه مصحح الصحيفة الهزيل ، تاتي المتسولات في اطمارهن الملكيات يغنين المقام ، انصرف السادة والاكاسيا تزاح بالمكانس ، الآن حوالي الساعة الثانية ، الخفاش في حجرته يواصل النزهة ، في حجرتها تمعن في وضع المساحيق وتختار قميص النوم ، تعطي فمها الادرد لون الوردة البكر وتلتف ببطانية وترقب السلم ، ياتي راقصا في نومه مصحح الصحيفة الهزيل عبر الالق الطافح في المرمر والسيقان والطين الذي تنضحه أسرّة الفنادق الرطبة ، عبر العشب في الغابة والاسفلت في الموقف ، في البرج تدق الساعة الثانية الآن ، تمارا انحدرت تلتفّ بالشرشف في اكتافها اقرأ آثار الخيول التتريات ، ابداي ايتها الاعمدة الرقص معي .. لقد أضعت الدور في حفل المقنعين ، ايها الرعد الجنوبي انفجر .. وحدي يضيء البرق وجهي وانا التفّ في أشرطة الحفل وبالوناته وفي يدي قبضة من حندقوق ، حينما ينصرف السادة في فرائهم وقيعاتهم وتبدأ الممثلات في ازاحة الاحمر والازرق عن سيقانهن او وجوههن او يسترن عريهن والقاعة تخلو .. يبدأ الدور الذي اضاعه الممثلون ، ايها الرعد الجنوبي انفجر .. وحدي يضيء البرق وجهي وانا أطلق قهقهاتي ، انحدرت في السيل المغولي الذي يجرف في اندفاعه الديكور والاقنعة ، المهرجون عادة منهمكون الآن في وضع المساحيق على وجوههم في البرج .

بغداد

حسب الشيخ جعفر